

٣

## الجليد.. يذوب: بين موسكو والقاهرة!

.. وتعرضت العلاقات المصرية السوفيتية إلى هزات عنيفة بعد الوحدة السورية وبعد الثورة العراقية وبعد الانفصال وفي نفس الوقت مضى السوفييت يساعدونا في بناء المصانع والسد العال «ومركسة» ميثاق العمل الوطنى.. وتفصيل أخرى كثيرة يروها الرئيس السادات في «تأصيله» للأستوراك والجليد على الطريق بين القاهرة وموسكو.

## وكانت الحفاوة العظيمة في الإسكندرية بداية النهاية لخروتشيف

يوصف الشتاء بأنه «الجنرال» فيقولون: وجاء الشتاء أعظم الجنرالات.. أى أنه إذا جاء الشتاء فقد انقضى الموقف لصالحهم.. والشتاء جنرال لأنه يملأ الجو بالبرودة لصالح الروس.. فلذا كان الشتاء جنرالاً، فإن الجليد ماريشال.

ولكن يبدو أن الجليد الذي يتزحلق عليه الناس ويعملونه كرات يلعبون بها.. ما تزال له مسور أخرى يصعب فهمها.. ولكن أبناء الجليد، وخصوصاً الروس يجيدون اللعب بها وعليها..

من ذلك لعبة أخرى لا أعرف كيف أشرحها. وإن كنت أختار لها اسماً مؤقتاً هو «لحسان الجليد» فاللعبة بيننا وبين السوفيت هي أنهم كانوا يحاولون أن يقدموا لنا الجليد وهو يعلو.. ثم يهرب.. فهو جليد ولكن يريدون أن يجعلوه يعلو ويحتفظ في نفس الوقت بكل صفات الجليد الباردة.. كيف؟ هذه هي براعتهم في

أو ترى أمامك جبلاً من الجليد يعترض طريقك فتدور حوله، أو تتفاداه.. ولكن الإنسانيات قد عرفت وبصورة عنيفة جداً ماذا حدث عندما اصطدمت السفينة الهائلة ثيبتايك بجبل من الجليد في المحيط الأطلسي.. فعندما اصطدمت به فوجئت بأن هذا الجبل قد ظهر ربعه على سطح الماء أما بقية الجبل فقد كانت تحت الماء.. فقد ظهر الجبل كله والفرق السفينة.. يومها فقط.. وبمن فاجع جداً، عرف الناس أن الجليد إذا كان جبلاً واحسباً، فإن الجزء الأكبر منه ما يزال خافياً تحت الماء.

ومن قراءة تاريخ الحروب في روسيا نجد أن الجليد هو اللبنة الأهم.. فهو الذي أنقذ روسيا من قوات ناپليون.. بل إن الجليد هو الذي دفن قوات ناپليون في هذه الغلظة البيضاء.. وهو أيضاً الذي دفن قوات هتلر مرة أخرى.. إن الجليد صديق الروس دائماً، وفي الحروب

بالسوفيت غريبة.. كانت ولا تزال. وسوف تبقى. فلماذا؟ إن الأسباب كثيرة جداً. والقليل من هذه الأسباب هي التي نعرفها. ولكن في

النهاية نحن دائماً أمام لغز لا نعرف له أولاً ولا آخراً. فمرة نحس أن كل شيء انتهى.. أن الجليد الذي بيننا قد ذاب.. وأنه يمكن للإنسان أن يعبر في الطريق الطويل المقدم بيننا وبينهم. ومرة نحس أن الجليد قد ذاب.. ولكن هذا الجليد لم يكن سوى سطح بحيرة عميقة جداً.. فإن الجليد قد ذاب ليخل مكانه لعسائك مائي هائل.. ومرة نالثق نحس أن الجليد قد ذاب ولكنه تحول إلى الهياكل جليدية أكثر خطورة من السير على الجليد، وأصعب على النفس من الانتظار الطويل حتى يذوب الجليد.. ومرة نحس أن الأفضل أن نبقى الجليد على ما هو عليه.. فهذا أوسع. لأنك ترى أمامك طريقاً صحراوياً أبيض..

علاقنا